فشل وطني

غيث الصباح

فشل وطني

لـ غيث الصباح

تنسيق الكتاب : S.H

تصميم الغلاف : غيث الصباح

حقوق الملكية الفكرية

هذا الكتاب هو نسخة الكترونية مجانية لكل قارئ
يحق لك طبع الكتاب وبيعهُ ويحق لك اعادة رفعة
ويحق لك الاقتباس منه والنشر او اعادة نشره بالكامل .

اهداء

الى كل من أجبرهُ الفقر للأنحناء تحت أثاث منزلهِ يوماً
يبحث عن عملةٌ معدنية ليجلب رغيف خبز

مقدمة

انا ملحد ويساري وشيوعي وكافر وطائفي ومجنون ومكتئب في نظرك .. وانا مؤمن غير منتمي لأي جهة أو اي تيار سوا الوطن في نظري .. هذا ما يختلف بين نظرة الحر والعبد المغيب

يا سيدي ، كان هذا جوابي بعد حوار طويل مع احدهم وانا في عمر السابعة عشر سنة .. عندها علقت بداخلي الكثير من الحروف وكانت كل ليلى تنام في جوفي لمدة ثلاث سنوات

واليوم قررت التخلص منها فقمت بتقيئها فوق الورق

لا تقلق فالتقيء الفكري لا يشبه غيره

فهو يأتي بأفكار جديدة لم تهضم بعد!

اود التنويه على امر مهم .. اذا كنت من نوع القراء المتفائلين جداً

الذين لا يحبون الاصطدام مع الواقع .. اترك هذا الكتاب فوراً !

فالكاتب تعمد ان يجعل من كل ورقة صخرة تكسر كل الاوهام الوردية ، لست سوداوياً ولكنني احاول ان أسلط الضوء

على معاناة فئة كبيرة من الناس في بلدي

لذلك أعدك بأكثر من ستون صفحة

تفوح منها رائحة البارود بأرجاء غرفتك .

الجزء الاول (أرض تحترق)

اين أبي

محافظة الحلة الساعة الثامنة ونصف صباحاً

ركبت فتاة شقراء بعمر الخمس سنوات السيارة وهية بقمة فرحها وكيف لا تفرح وهية ذاهبة مع والدها لكي يشتري لها الدمية التي لطالما حلمت بها جلست على المقعد الامامي ولكنها لا تبدو جالسة فهي كثيرة الحركة .. لها شعر ذهبي وكأنه نسيج من خلاصة الذهب وعيون عسليتين براقتين يولج منهم نور الصباح المشرق كانت قصيرة القامة طويلة السان قليلة الصبر .. وهية تغني بكل فرح وتلعب .. فتح باب السائق ليركب رجل طويل القامة جميل البنية حاد النظرة يرتدي سترة زرقاء انيقة تفوح منه رائحة العطر .. جلس على المقعد تنهد ولتقط نفسه وقال بصوت وقر منادياً الطفلة :

- مريم أبنتي الزمي الهدوء قليلاً احتاج ان اجري مكالمة مهمة في الهاتف .

ترنحت مريم ونظرت له نظرة فيها ما يشبه الزعل ثم قالت :

- حتى انك لم تقبلني يا ابي!

ابتسم الاب واقترب منها وقبلها على خدها الناصع ليزداد اشراقاً ثم عاد الى المقعد وأخرج الهاتف قام بالاتصال بشخص ما

مقيد في هاتفة المدير العام بأتدء الحديث قائلاً :

- الو كيف الحال استاذ لعلك بخير انا ابراهيم ، سأتوجه الان لبغداد هل انت هناك لانني كما قلت لك احتاج لراتبي .

بدت علامات الشحوب على وجه ابراهيم وكأن الأمور لم تسر على مايرام مع طرف المكالمة الاخر ثم تنهد وقال :

- سيدي اعلم عن الضروف اعلم عن الوضع الامني السيء الذي يمر به البلد ولكن لم يتبقى بحوزتي مال وانتم لم تسلمونني اجور منذ أشهر ، انا وعائلتي نعاني قليلاً ارجو منك ان تتفهم ذلك .

في هذي الاثناء بدء راديو السيارة يبث أغنية بصوت خافت كانت هذه الاغنية هية المفضلة لدى مريم .. مسكت مريم عتلة الراديو بكل فوضوية لترفع الصوت .. صرخ والدها غاضبها :

- اخفضي الراديو والزمي الصمت يا طفلتي فأنا أتحدث بالهاتف.

ثم عاد للمكالمة بقوله :

- اعتذر استاذي فطفلتي المشاغبة من دلالي لها لم تعد تطيعني ، حسناً نحن على الاتفاق سأكون هناك عند الساعة العاشرة .

اغلق الهاتف ووضعه الى جنبه وقال بفرحة مكبته :

- من الفتاة الجميلة التي ستحصل على تلك الدمية اليوم ؟

صرخت مريم بسرعه :

- انا ومن غيري انا .

سارت السيارة ورفع والد مريم صوت الراديو لتبدء الاخبار التي كانت هي مصدر الازعاج الاول بالنسبة للطفلة مريم ، بدأ المذيع الممل بالقول قتلى هنا وجرحى هنا انفجار هنا وحرب هناك ..

فجاءة اقتربت يد الرجل من الراديو وغير المحطة وهوة يقول بصوت سرح وبال شريد:

- هل يجب على المرء ان يبتدء صباحه بموت هذا وجرح ذاك ، ومن عاد يكترث فنحن نموت بالالوف كل يوم .

بعد مسيرة ساعة وصل الرجل الى بغداد صار يجوب شوارع بغداد الجميلة وهوة يحدث ابنته .. كانت والدتك تحب هذا المكان وكنا انا ووالدتك نزور هذا المكان بانتضام وكان هذا وهذاك .. كانت الفتاة تحدق من نافذة السيارة الى الشوارع ببال شريد كأنها تبحث في ثنايا الشوارع عن والدتها .. حتى وصلوا الى المكان المنشود .. ركن الاب سيارتة ونظر الى فتاته قائلاً بصوت حازم :

- مريم .. سأذهب لخمسة عشر دقيقة اياك ان تنزلي من السيارة او ان تفتحي الباب لاي شخص .

نظرت الفتاة بعين ابيها قائلة بصوت ودود :

- لا تتأخر يا ابي فأنا جائعة ولا احب ان انتظر كثيراً.

جاءها الرد سريعاً :

- ومن قال انني استطيع التأخر على أجمل فتاة رأتها عيني .

ثم قبلها قبلة عجولة وترجل من السيارة .. مضى الاب نحو الجهة المقابلة للشارع .. كانت مريم تنظر بنظرة ملاحقة وهي تراقب ابتعاد ابيها ، جلست مريم تستمع الى اغاني الراديو تارة وتارة تراقب من النافذة ذلك العصفور الجميل الذي كان يشرب الماء

من ارضية الرصيف المجاورة .. لم تتعدى سوى دقائق معدودة حتى بدأ الضجر يتغلب عليها كأي فتاة بعمرها محملة بالطاقة تكون سريعة الضجر ولاتطيق الانتظار .. أخفضت مريم زجاج النافذة لتراقب العصفور عن كثب علها تتغلب على مللها ، مدت يداها الحريريتان خارج النافذة محاولة التقرب من ذلك الطير اللطيف ، أحست بتجاوب الطير معها .. بحركته بزقزقته بكل تعابيره ، أخرجت مريم رأسها من النافذة محاولة النظر عن كثب للطير كأنها أميره من اميرات قصص الاطفال اللواتي يداعبن الطيور ويحدثن النوارس ، كان المكان هادئ جداً وكأن الشارع خالي لم تسمع اي صوت للسيارات العابره او للمشى او بالاحرى كان انسجامها مع الطير هو ما يخيل لها ان لا احد على هذا الكوكب سوا هي والعصفور

وفجأءة وبدون اي سابق انذار دوا صوت قوي وبدأت النيران بالارتفاع من الجهة المقابلة للشارع

هرب الطير بعيداً !

أدخلت مريم رأسها بسرعة داخل السيارة وهي تراقب بخوف و صمت شديد وكأنها مذهولة مما يحصل ، الناس تتراكض والنيران ترتفع والدخان بكل مكان دماء سارية والمكان يفوح براحئة خانقة

كأنها رائحة الموت ، بكت مريم من شدة الخوف وهي تراقب اشلاء البشر المتساقطة على الارض ، بدت بالصراخ بصوت يرتجف : أبي أبي هيا تعال بسرعة انا خائفة جداً أين أبي!

7×7

محافظة الانبار الساعة السابعة مساءاً

في أحد ساحات لعب كرة القدم كان الشاب بكر كمال او بكر جافي كما يلقبونة زملائة يحضر نفسة لبدء المبارة ، بكر كان بعمر السبعة عشر سنة شاب ممشوق القوام ذو وجه رفيع وسيم مع تصفيفة شعر عصرية كان موهوب بحق ، اللاعب الاول بفريقه والافضل بين اقرانه ..

بدأت أهم مباراة في حياة بكر حيث في هذه المباراة وعلى دكة المشاهدين تحديداً يوجد ضيف مهم وهوة مدرب أحد الاندية العراقية المشهورة الذي كان يبحث عن مواهب شابة بالارجاء لضمها لناديه .. لطالما اراد بكر ان يصل للاحتراف وان يقدم المزيد من الابداع لمعشوقته الكرة المستديرة التي اسرته منذ طفولته في حبها .. بدء بكر يلعب بكل قوة بكامل مهاراته وبكل تركيزه لعله يجذب انتباه الضيف رفيع المستوى .. يراوغ تارة واخرى يمرر يسرع احياناً ويسدد كثيراً ..

في نفس وقت المبارة هذا التسعون دقيقة ولكن في مكان بعيد قليلاً

محافظة ميسان الساعة السابعة وعشر دقائق مساءاً

في غرفة منزل متواضع كان هناك شاب وسيم جداً شعره طويل وسرح ذو ملامح ناعمة .. يبدو انه يبلغ من العمر ثمانية عشر

سنة يجلس فوق طاولة وعلى جانبيه تتناثر الاوراق .. المليئة بالنوتات الموسيقية يحمل بيديه الة الكيتار يدنن ويعزف ويلحن بصخب وبأحساس مرهف .. فجاءة يفتح باب الغرفة بدون ان يطرق ليدخل رجل كبير بالسن رأسه من الباب منادياً :

- حيدر أخفض من صوت موسيقاك فأنا اعاني من صداع وارهاق من العمل يا بني .

اوقف حيدر العزف وادار وجهه نحو والده ليقول بصوت بهيج وهادئ :

- حيدر كيتارة لن يتوقف وغداً لديه أكبر عرض موسيقي ياوالدي .

اتاه الرد مسرعاً من والده :

- هل قبلت مشاركتك بمهرجان بغداد ؟

أجاب حيدر بثقة عالية :

- بكل تأكيد وهل يوجد مهرجان بدون ولدك الوسيم ؟

بدأت الفرحة كبيرة على وجه والده ليرتفع صوته قائلاً :

- غداً سأحضر انا ايضاً لمشاهدتك .. أحسنت يا فتاي فقد اصبحت عازفاً جيداً.

أبتسم حيدر وعاد لعزفه وكأن جوابه سأبذل قصار جهدي يا أبي خرج الاب فرحاً ليغلق الباب تاركاً حيدر يغرق ببحر الموسيقى .. كما تركناه نحن متوجهين نحو بكر

محافظة الانبار الساعة الثامنة ونصف مساءاً

تعلن الصافرة نهاية المباراة كما ويبدو ان الامور سارت على نحو جيد مع بكر فقد انتهت المباراة بفوز فريقة بنتيجة ساحقة اربعة اهداف مقابل صفر للفريق الاخر حيث تألق بكر بتسجيل هدفين وصنع الثالث .. كان متعب يخر من جبينه العرق يبدو على ملامحه المشقة والاجهاد ولكن ما لم يستطيع فهمه الجميع هوة نظرته الى السماء وكأنه يشكر الرب على ماسارت عليه الامور خرج من الملعب والجميع تنظر نحوه بنظرة أعجاب كفارس ترجل من حصانه بعد انتصاره بأكبر المعارك وهوة يسير في طريق الخروج تقرب منه الضيف رفيع المستوى الذي كان يرتدي بدلة سوداء مخططة بخطوط بيضاء رفيعة انيقة يملئها جسد مفتول العضلات طويل القامة ليقترب من بكر ويمد له يده صافحه بكر بترقب ابتدء الحديث بصوت بحوح كلعادة يبدو أن جميع الأغنياء والأشخاص المهمين يمتلكون صوت بحوح .. قائلاً :

- انت بارع يافتى وانا اود ان تلعب في ناديي .

اجاب بكر بسرعة بنبرة اندهاش :

- حلمي يا سيدي اللعب معكم كما اني اتابع كل مبارياتكم واعتقد ان اسلوب لعبي يتناسق مع فرقتكم .. امنحني الفرصة يا سيدي ولن أخذلك .

أبتسم الرجل بوقار واهز برأسة موافقاً دون ان يتحدث ليمد يده في جيب بدلته الداخلي ليخرج منها بطاقة تحتوي على عنوان

ورقم هاتف وتفاصيل التواصل كاملة معطيها لبكر لينطق بعدها بنبرة ثقة :

- غداً الساعة الثالثة ظهراً في مكتبي ببغداد هل هذا الموعد مناسب لك ؟

اجاب بكر بدون اي تفكير او تردد :

- جداً يا سيدي سأكون هناك بالموعد تحديداً .. أشكرك

هز رأسه مرة اخرى ذلك الرجل ليمضي تاركاً بكر بكامل دهشته وبقمه فرحه وهوة يتمعن بالبطاقة .. يبدو انه حفظها على ظهر غيب .

اليوم التالي الساعة الواحدة مساءاً طريق الانبار بغداد الدولي

يقود سيارة الاجرة رجل أسمر كبير بالسن وعلى المقعد الامامي يجلس بكر بكامل اناقته حيث انه يرتدي قميصاً ابيض ناصعاً وسروالا اسود قماش مع ذلك الحذاء البراق .. تجلس بالخلف سيدة كبيرة بالسن ترتدي العباية العراقية تبدو وكأنها في منتصف الستينات من العمر حيث قد ملئ وجهها التجاعيد التي تنذر بالشيخوخة ببشرة حنطاوية كما ولديها على يدها اليمين ثلاث نقاط موشومة باللون الاخضر التي لم استطع فهم معناهم كانت جالسة تنظر من النافذة بفكر شريد .. يخرج من حجابها خصلة شيب ناصعة البياض صغيرة يبدو وكأنها هاربة من الحجاب دون علم السيدة او انها علمت بعجز السيدة وشيخوختها فتمردت عليها .. تمسك بيدها المتجعدتان بعض الاوراق يبدو وكأنهم معاملة حكومية او ماشابه ذلك .. يجلس

الى جوارها فتاتان جميلتان صغيرتان يرتديان ذات الثياب لكل منهما ضفيرة شعر سوداء جميلة جدا يبدو وكأنهم توأم فهن متشابهات كثيراً حتى انني لم استطع التميز بينهم بعضاً ، السيارة تمضي على ذلك الطريق القاحل مع صمت قاتل داخلها لا تكاد تسمع شي سوا صوت الطفلتين يتحدثن مع بعض بتمتمه غير مفهومة ، سار الوقت بسرعة بتلك السيارة المملة حتى وصلو الى مبتغاهم

كراج العلاوي العاصمة بغداد الساعة الثانية مساءاً

ركن الرجل الاسمر سيارته قائلاً :

- الحمدلله على سلامتكم يا سادة .. نحن الان في كراج العلاوي

ارجو منكم دفع أجور التوصيل قبل الترجل من سيارة .

اخرج الجميع المال من محافظهم معطيها ليدفعو الاجور وبعدها ترجلوا من السيارة وقف بكر متلفتآ يمنآ ويسارآ فقد كانت هذه المرة الاولى له على زيارة العاصمة بغداد ..كانت السيدة المسنة تترجل من السيارة ببطئ وعندما انتصبت على الارض هم بكر بسؤالها :

- سيدتي اريد الذهاب الى المنصور من اين استقل سيارة اجرئ لتأخذني الى هناك .

اجابت السيدة العجوز بتنهد :

- لقد كنت اول ان اسألك نفس السؤال ياولدي ظنا مني انك تعلم.

قاطعتاً حديثها بالتنهد لتعود للحديث كعادة المسنين فهم يتحدثون عن تفاصيل حياتهم بدون ان تسألهم لانهم بلغوا اليأس وهم يحاولون التخلص من مشقة هذه الحياة :

- انا يا ولدي وحفيدتاي نريد الذهاب ايضا للمنصور لنكمل معاملة بطاقة الاحوال المدنية وبعدها معاملة الراتب لولدي الشهيد لكي استطيع ان اربي فتاتاه الصغيرات ، استشهد وترك لي بناته التوأم ومن يومها وانا احاول ان اجاري هذا الحمل الثقيل يا ولدي .

انتفضت مشاعر بكر وهمت به غيرته ليقول بحزم :

- رحمه الله وصبرك على فراقه ، لا تقلقي يا سيدتي سوف نذهب سويا الى هناك ، لن اتركك حتى تبلغي مبتاغك .

شكرته السيدة وصارت تتبعه وهوة يمضي ويتلفت ليجد شاب يبدو وكأنه بعمره ليمضي مسرعآ بسؤاله

كعادة العراقيين عندما يبدأوا الحديث مع شخص غريب بعمر الشباب ينادونه :

- ابو الشباب !

التفت الشاب له ليجيب :

- تفضل يا اخي

- نحن ندخل بغداد للمرة الاولى ونريد سؤالك عن الطريق الى المنصور هل لك ان تساعدنا ؟

- نعم وبكل ود ، انا ايضا ذاهب الى هناك

- هل لنا ان نذهب سوياً ؟

- فكرة سديدة فنحن نوفر بعض المال ونساعد بعضنا .

مضى الشاب وبكر والسيدة العجوز يتبعونه حتى اشار لسيارة الاجرئ ركب الجميع السيارة وكان الشاب يجلس بالمقعد الامامي وبكر والسيدة والطفلتان بالخلف مضت السيارة ليقول الشاب للسائق:

- الى المنصور سيدي .

هز سائق السيارة رأسه موافقاً وراح يراقب الطريق مد بكر يده من الخلف للشاب ليصافحه قائلاً بنبرة ثقة ودودة :

- بكر كمال الملقب بكر جافي من الانبار .

ابتسم الشاب ليرد بكل هدوء :

- حيدر او حيدر كيتارا من ميسان .

ليبدء الحديث بينهم كأي شباب محملين بالطاقة موهبين وحالمين دار الحديث عن كرة القدم والموسيقى وسبب قدومهم لبغداد بينما اكتفت السيدة العجوز كغير عادتها بالصمت والاستماع

سرعان ما وصلو الى المنصور ، نزل الجميع من السيارة ليتوجه كلاً منهم الى مبتغاه

شكرت العجوز الجميع لتدخل الى الدائرة الحكومية المجاورة لمكان نزولهم ، بينما تبادل بكر وحيدر الامنيات بالتوفيق لهم سار بكر بجهة الشمال بينما عاكسه حيدر ليتوجه جنوباً ..

مضت عشر دقائق على مسيرتهم لتمر سيارة بها ثلاثة مسلحين ملثمين موقفتاً بكر طالبين منه بطاقة احواله المدنية اخرجها لهم بكر مرتعباً اخذها احدهم من نافذة السيارة وهوة يقرأها سرعان ما توسعت عينه ناظراً الى بكر ليتلفض ببعض العبارات الطائفية القذرة مخرجاً مسدسه من جنبه ليشهره نحو بكر الذي بدوره تجمد خوفآ كأنه علم بأنها اخر لحظات له بالحياة ، اطلق المسلح النار من سلاحه ليصيب جسد بكر بخمس رصاصات بأماكن متفرقة من جسده ليهرب ومن معه بالسيارة تاركين بكر وهوة مستلقي على الارض والدم يسيل من كل نواحي جسده ليصبح قميصه الابيض أحمراً .. يستجدي انفاسه الاخيره ويخرج الدم من فمه ميتاً مودعآ لكل احلامه على الارض لتصعد روحه الى السماء طاهرة

سمع حيدر صوت الاطلاقات النارية التي لم يكن يعلم مصدرها او انها استقرت في جسد اخر من قابله .. تسارعت خطوات حيدر لا ارادياً ليمضي بأحد الازقة هارباً خائفا مما يجري بالشارع الرئيسي ، وهوة يمشي ويقرأ بداخله بعض الايات القرأنية التي لطالما كانت والدته تقرأها في طفولته عندما يشعر بالخوف من شيء ما ، مضى حيدر مسرعآ حتى اضاع دربه بين الازقة ليوقف رجلآ بسؤاله :

- ابوشباب كيف يمكنني ان اصل الى هذا العنوان لو سمحت.

مشيراً بيده الى الورقة التي يمسكها بيده ، قرأ الرجل الورقة واجابه بنبرة توتر واضحة :

- من أين انت ؟

- من ميسان .

لينظر الرجل مرة اخره بالورقة وكأنه يفكر بشيء ما

اعاد النظر نحو حيدر قائلا : - أتبعني

- امضي انا معك يا سيدي

- ما اسمك ؟

- حيدر سيدي

- ماذا تفعل هنا ؟

- اشارك في مهرجان بغداد للموسيقى

- أمم جيد

سارا جنباً الى جنب الى ان وصلها الى شارع شبه خاوي من الناس فاجئ الرجل حيدر بمسكه من خلفه خانقاً حيدر بيده على رقبته ليخرج شخص اخر ومعه سلاح متلفضين ببعض العبارات الطائفية ليشهر الشخص السلاح بوجه حيدر مطلقاً عليه النار مصيباً اياه برصاصة في رأسه ليتناثر مخه في ارجاء الشارع! هرب الشخصان تاركين حيدر جثة تسبح في دمها على قارعة الطريق قاتلين كل لحن موسيقي عزف للحياة بهيجها وكل أمل ولد في جوف حيدر ، هذه هي روح حيدر تودع الارض لتبتعد وهي لم تتسخ بعد بقذارة هذه الارض .

غريب

جمهورية تركيا ولاية سامسون الساعة الحادية عشر مساءاً

مشي الغريب المثقل .. وخطوات اليأس مع تأرجح الافكار صمت ودندة غير مفهومة .. يلتفت وينظر الى المعالم واليقين بأنه لم يولد لكي يكون هنا .. وحدة قاتلة مع النظر ألى الناس منهم من يلتقي ومنهم من يفترق ..هناك بعض من السعداء وفئة من التعيسين ..لكي يبدء التسائل أين هو من هؤلاء ؟! من سيشاركه فرحته ؟ ومن يواسيه بحزنه ؟! لماذا هو الوحيد الذي لم يجد شخص يدله على الطريق .. لا يجد من يرتمي بحظنة ويقول له قد تعبت من هذه الدنيا ! اجاب نفسه بكلمة واحدة

((غريب))

ثم اكده لهاا نعم انا الغريب لم اولد هنا ولم افكر يوما اني سأعيش هنا فبتسم بأبتسامة خفيفة تعيسة وهزز رأسه وأكمل سيره ! وصل لمنزله وجد عند الباب الكثير من اوراق الفواتير الضريبية متجاهلاً اياها وكأنها اصبحت جزء من المنظر الذي يشاهده كل يوم عند دخوله للمنزل فتح الباب ودخل لذلك المكان الخاوي مع عدم تفاجئه بنقطاع التيار الكهربائي فيبدو من كل تلك الاوراق انه لم يدفع للكهرباء منذ اشهر .. دخل غرفة المعيشة المظلمة وجلس على احد المقاعد القديمة المتهاوية راح ينظر الى زواية الغرفة وكأنه يبحث عن شيء ما او انه يتأمل ارجاء هذا المكان الكئيب .. أخذت عينيه للمرة الاولى

الى الجدار المقابيله لتقع عينيه على علم العراق المعلق على الحائط ناظراً اسفله الى الشهادات المعلقة يبدو انه من عائلة متعلمة فالشهادة الاولى لوالده لغات والثانية لوالدته لغات ايضا .. يبدو ان والدته والده قد تعرفو عن طريق الجامعه واحبوا بعضهم ..تحتها شهاده لفتاة تبدو انها اخته فهي خريجية علوم سياسية وبجنبها تعلق شهادة اخوه المحامي .. لتقع عينه على شهادته فهو مهندس حاسوب .. ترك النظر الى كل هذه المعلقات لينظر الى الجدار ذاته استهواه نظره ذلك الشق الكبير بالجدار الذي وجد ليذكره انه لا زال يعيش بمنزل متهاوي يبدو ان هذا الشق قد قطع تأمله ونظراته فوشح النظر نحو زاوية الغرفة ليرى ذلك الدولاب القديم يعلوه جهاز راديو صغير ، وقف فوراً وتوجه نحو الراديو حمله بيده وتوجه الى المطبخ .. في المطبخ يوجد كرسي وطاولة عليها مجموعة من الصحون الرثة وطباخ صغير جدا .. سحب الكرسي وجلس.. ابعد كل الصحون عنه تاركآ فراغ في الطاولة امامه وضع الراديو على طاولة واخرج علبه سكائرة من جيبه ومعه عدد من البطاريات وكاسيت تسجيل وضع السكائر على طاولة .. و عبأ الراديو بالبطاريات ليبث الراديو فورا صوت مزعج .. اخذ الرجل بدخال الكاسيت بكل هدوء ليضغط على زر التسجيل بدء الراديو ينير بضوء أحمر صغير ناذرا ببدء التسجيل .. تنهد الرجل واشعل سكارة ليبتدء الحديث بصوت بحوح جداً اشبه بنفحات افعى :

- نعم .. اود اولا ان اعتذر لابي لاستخدامي الراديو الخاص به دون اذنه ، والاعتذار لأمي لبعثرتي لاغراض المطبخ ولتدخيني داخل

البيت ثم بعد ، رسالتي الاخيرة لهذا الكوكب رسالتي الاخير لكل من أستنجيتهم وجعاً ولم يسمعو لي رسالتي الاخيرة لكل مسؤول عن دمار بلدي العراق لكل من هددني وهدد عائلتي بالموت رسالتي الاخيرة ونصها : تبا لكم انا لا اخاف منكم! .

غرورقت عيناه وصارت يداه ترتجف ليعود مره اخرى للكلام ولكن بنبره قريبه للبكاء قائلا :

- أما ان كان من يسمعني غير ماسبق فأود ان اشكرهم على سماعي واطلعهم على ما حدث أنا رجل عراقي اسمي روبرت نعم مسيحي كما توارد بذهنك الان ، عمري سبعة وعشرون عام غير متزوج من مدينة الموصل ، هددت كثيراً انا وعائلتي في العراق حتى جاء احد اكثر التهديدات جدية وهي رأس أخي نعم لماذا تستغرب ؟ هذه هي الوحشية التي ممرت بها قتلوا أخي ووضعوا رأسه بعلبه وارسلوها لنا ،قامت بفتحها والدتي بدون علم عن محتواها فأصابت بصدمه جعلت منها صمه لكل هذه المدة فهي لن تنطق بحرف من يومها ! هربنا انا وعائلتي نحو تركيا لنسكن بهذا المنزل الكئيب الذي وان لم تصدقوني في يوم من الايام لم يكن كئيب ابداً .. بدأنا بالعيش هنا ومضت الايام حتى اتئ ذلك اليوم المشؤوم .. الذي قرر به والدي السفر الغير شرعي الى اليونان بعد ان ضاقت به سبل الرزق في تركيا ولم يستطع اطعام عائلتي هنا ، جلسنا للمرة الاخيرة في غرفه المعيشة تلك بدء أبي بالحديث سنعبر البحر بالقارب لنتوجه نحو اليونان وبعدها سنسافر براً نحو احد البلدان الاوربية لعلها المحاولة الانجح

للبقاء طلب والدي مني البقاء في تركيا لانه لم يتمكن من جمع المبلغ الكافي لنذهب جميعاً

وفي صباح اليوم التالي اخذ والدي بيد أختي الخائفة وامي الصامته متوجهآ نحو احد المحافظات التركية ليستقل ذلك القارب اللعين ليبحر ببحر اللعنة ليتحطم بهم القارب ليواجهوا حذفهم بعرض البحر ليموتوا موتة النار داخل الماء بدون اي عويل او صراخ .

صارت الدموع تنهمر من روبرت لتغرق وجهه .. بدء بالبكاء بعالي صوته ليبدء بالضرب على تلك الطاولة كثور هائج او كمجنون سلبت منه ليلاه ليعود بالحديث ولكن هذه المرة وكغير عادتة فهوة يتكلم بسرعة وبتلعثم :

- لقد تركت وحدي اتهاوى نحو الموت ببطئ ، أستيقظ صباحآ وانا اشبه بجثة تسير بالارض ، بلا أهل ولا اصدقاء بلا خلان ولا حتى خصوم أنا أموت كثيرآ والعالم الحقير لا يعلم عني شيء ، تبا لم سارت له الامور تبا لي وللعالم .

التقط انفاسه وتنهد ليهدء قليلاً اشعل سكارة اخرى ليبدء بالقول بهدوء ونبرة اتزان تخيط كلامة :

- أسف على انفعالاتي هذه يبدو اني افسدت تسجيلي الاخير، سيداتي وسادتي اخر ما اردت قولة أنا الان أنجو من الحياة بأعجوبة سادتي .

اوقف زر التسجيل وفتح عتلة الغاز على الطباخ الصغير ليتحرر الغاز بأرجاء المكان ، اخرج الكاسيت من الراديو وحمله في يده

ليتوجه نحو النافذة أزاح الستارة وقام بفتح النافذة أخذ ينظر الى الشارع المظلم لم يجد اي شخص سوا فتاة تسير بالشارع يبدو أنها من بائعات الهوا .. فهي ترتدي لباس مغري براق وتسير بطريقة مريب .. راح يناديها حتى اجابته ظنآ منها انه من الباحثون خلف شهواتهم اقتربت من نافذته ، أخرج الكاسيت من راحه يديه واعطاها أياه بدأت بالحديث مستغربه ولكنه لم يتمكن من فهمها ولم يتمكن من جوابها فهو لا يعرف لغاتها عندما أخذ ينظر لوجهها وهوة يفكر متسائلاً هل سيحدث فرق حقآ ؟ ان وصل هذا الكاسيت الى العالم او ان لم يصل ؟ ما الفائدة من ذلك ؟ اشاح النظر عنها واغلق النافذة وهية مازلت تتحدث بتلك اللغه الغير مفهومة اغلق الستارة وهية بدورها مضت بدون مجادلة ظنآ منها انه مجنون ولكن فضولها لم يمكنها من ترك الكاسيت

فهي تسير متمسكه به حتى تلاشت من الانظار دخل هوة المطبخ والغاز بدء يخنقه

ولكنه لم يتمنى الموت مختنقآ فهو لا يحب ان يتذكر عائلته وكيف ماتوا ، فأخرج الولاعة من جيبه

ليضغط على زر النار ، لينفجر به المكان منذرآ بموت الانسانية من على هذا الكوكب !.

كيف سيعيش أدم ؟

محافظة النجف الأشرف الساعة السابعة صباحآ

في غرفة النوم وعلى ذلك السرير الموشح بالقماش الابيض ينام مازن الذي يبدو انه بعمر الثلاثين سنة نصفه العلوي عاري ويرتدي سروالا اسود قماش ، على جانبه اليمين يقبع هاتفه المحمول وعلبه سكائره وساعته الحديدة القديمة وكتاب مفتوح على المنتصف تقريباً ، بينما هوة يغط في نومه وصوت الشخير يتعالى في ارجاء الغرفة ، بدء الهاتف يرن مرة والاخرى بدون توقف ، كما يظهر على شاشة الهاتف كما هوة مسجل (اللهم أجعلها زوجتاً لي) ، وبعد ثمانية مكالمات فائتة ، أستيقظ الرجل ليجيب على المكالمة التاسعة تحديداً .. بدأ التحدث بصوت أقرب الى النوم من اليقضة :

- الو صباح النور حبيبتي ، أسف لقد أستغرقت بالنوم ولم أسمع صوت الهاتف نعم سأذهب الان الى هناك ، لا لن أتأخر لا تقلقي ، ادعي لي أحبك باي .

أنتفض مازن من على الفراش وراح يرتدي ثيابه بسرعة ،أكمل تبديل الثياب وفتح احد الادراج ليخرج منها ملف أزرق فيه الكثير من الاوراق قام بأخذه بيده ، نزل درج منزله ..أخرج دراجته النارية من القبو ، قام بتشغيلها عدة مرات كما هوة معتاد عليه مع هذه الدراجة القديمة المتهالكه وبعد الكثير والكثير من المحاولات أخيرآ بدء ذلك المحرك التالف بالعمل ، ركب الدراجة

وانطلق وهوة يقود الدراجة بين الازقة بدء يردد مع نفسه وكأنه يتدرب على احد المقابلات يسأل نفسه ويجيب عليها

- هل لديك خبرة في هذا المجال ؟

- نعم سيدي

- اقصد هل حصلت على وظيفة في نفس المجال ؟

- لا سيدي ولكن لدي الكثير من الشهادات في هذا التخصص

وهكذا مضى الدرب بمازن حتى وصل الى احد الشركات التي يبدو انه سيقيم بيها مقابلة العمل ، ركن مازن دراجته وارتجل منها ليهم بترتيب ثيابة وتعديل شعره

وأخرج من حافظة الدراجة نظارة طبية ليرتديها ، مشى نحو المدخل بخطوات مسرعة دخل الشركة وكان يبدو عليه الارتباك واضحآ جليآ سأل احد الحاظرين عن مكان المقابلات فأجابه انه بالطابق الثالث للبناية ، صعد السلالم بفوضوية حتى وصل الى ذلك الباب دخل الى غرفة المقابلات لم أستطع معرفة ما جرئ بغرفة المقابلات تلك الا انه وبعد ساعة خرج مازن من الباب وملامح الغضب تعتلي وجهه نزل السلالم ببطئ ويأس يبدو أن الامور لن تسر على مايرام وصل الى كومة الخردة خاصته وبعد عده محاولات لتشغيلها اشتغلت ليقودها نحو مكان ما عتاد الذهاب اليه عندما تسوء به الحال او بالاحرى بعد كل مقابلة عمل فاشلة يجريها وكان المكان عبارة عن بستان في الكثير من أشجار النخل ، جلس هناك تحت ظل اشجار النخل اخرج هاتفه ليتصل بمن أيقضته صباحآ فتح مكبر الصوت وقام بوضع

الهاتف على جنبه ،ليمسك بعصى بيده وبدأ يلعب بالتراب بها بدون اي وعي او ادراك لما يفعله وكأن جسده هنا وعقله بمكان بعيد ، أجابت على الهاتف :

-الو حبيبي طمني كيف سارت معك الامور ؟

- كلعادة يا صفا لم يحدث شيء جديد!

- هل رفضت ؟

- طلبت أن أوظف بشهادتي فرفضت ، حتى أني طلبت أن اوظف عامل نظافة ورفضت أيضا !

- سيعوضك الله لا تقلق يا مازن يبدو ان المكان غير جيد لتعمله فيه

- صفا أنا متعب ، دخلت الثلاثين سنة وانا لازلت أستجدي مصروفي من والداي ، كل يوم استيقظ صباحا بحثآ عن عمل في كل المجالات وفي مختلف الاماكن ولكنني اعود خاويآ يائسآ محطمآ

- ولكن يا مازن لا تنسى انه سيأتي يومآ وتحل كل مشاكلك لا تضعف هكذا فقد أعتدت أن اراك قويا يا حبيبي

- الى متى يبقى الحال هكذا ؟ ومتى ستتحسن الامور ؟

متى سنتزوج وننجب ذلك الصبي أدم كما نريد ؟

- أصبر قليلا يا حبيبي أ ص ب ر

قاطعت مكالمتهم المجيب التلقائي قائلا :

عذرا لقد نفذ رصيدكم !

قطعت المكالمة تاركتاً مازن وحيداً.. عاد مازن الى فكره الشريد وكأنه يبحث عن سبب ما يحصل له .. فهو في أرض العراق .. التي كانت في يوم من الأيام تحتوي على ملايين الأيدي العاملة العربية والأجنبية .. البلد الذي لم يشكو من البطالة على مر التاريخ .. ففي جميع الحقب كان العراق يفيض خيراته وكان كل الشعب شعب منتج وعامل ..حتى في أوائل التاريخ كان العراقيون في حضارة وادي الرافدين يعملون بالزراعة والصيد وفي العمارة والبناء وداخل المدن .. ولكن ماذا جرى ؟ لماذا سارت الأمور على هذا لنحو ؟ كلها تسائلات تتوارد في عقل مازن طيله تلك الفترة .

من سيستمع الى صوتي ؟

محافظة ديالى الساعة السادسة صباحآ

في احدى الاقضية وخلف تلك التلال والمروج تحديدا في ذلك الريف البعيد عن الشوارع الازفلتية والمعزول .. وبين كل تلك البساتين .. وسط كل تدرجات اللون الاخضر للأشجار والاعشاب .. تشرق شمس الصباح لتنذر بيوم جديد على الفلاحين وكأن قرص الشمس ينادي بسمفونية كونية : حي على الفلاح ! .. خرج المزارعين من منازلهم رجالآ ونساء بكل تناسق وأنضباط متوجهين نحو بساتينهم لقطف الثمار فقد بلغو موسم الحصاد وجني ثمار التعب والمجهود الذي بذل طيلة هذه السنة .. عند التركيز على المشهد سترى رجل يبدو انه بمنتصف اربعينيات العمر يحمل سلة يعلقها على كتفه بمساعده حبل .. يرتدي الثوب العربي الطويل الابيض يعبئه جسم طويل مفتول قوي النصاب .. رأسة معصوب بشماخ وكأن تلك العصبة هي مصدر قوته .. يرتسم على وجهه ذلك الشارب الكثيف مع فكة العريض وملامحه الخشنة .. بشرته سمراء جافة تميل للغمقة ، كان يقطف الثمار من شجرة البرتقال المجاورة له ويضعها بتلك السلة بكل روية وتأني مع فكر شريد .. أخذ يعبأ السلال مرة والاخرى بدون كلل او ملل .. من شجرة لشجرة يداه تلامس الثمار وتداعب الأغصان .. سار الوقت حتى أعتدلت الشمس وزادت درجة الحرارة .. نظر الرجل الى الساعة التي كانت بجيبه ليندهش بالوقت الذي كان يشير الى منتصف النهار الساعة

الثانية عشر ونصف ظهراً .. يبدو أن الوقت قد سار سريعآ مع ذلك الرجل الذي كان شريداً غير مدرك لسيف الوقت .. بدأت حركته أكثر سرعة .. يقطف الثمار بتعجل حتى أمتلأت السلة .. خلع الحبل من على كتفه ليضع السلة جنب بقية السلال .. يبدو أنها اخر سلة لهذا النهار .. فهو لا يقطف الكثير باليوم الواحد حتى تحافظ الثمار على طزوجتها ومنظرها الناصع .. ترك الرجل البستان متوجها نحو سيارته التي كانت تركن في آحد الزواية .. كانت سيارة حمولة قديمة الطراز والمظهر .. صعد الرجل السيارة وقام بتشغيل المحرك .. توجه مرة أخرى الى بستانة أوقف السيارة جنب سلال البرتقال التي قطفهآ .. ترجل من سيارته وبدأ بتحميل السلال في السيارة .. سلة والأخرى بدون توقف فالشمس أصبحت حارقة .. أكمل تحميلها وتغطيتها بوشاح كان موجود في السيارة .. ركب الرجل سيارتة مرة ثانية جلس على المقعد .. تنهد ليخرج التعب من جسده .. ارجع ظهره نحو المقعد ليريح كتفيه .. شغل المحرك ومد يده نحو الراديو ليشغله .. بدء الراديو يبث الأغاني العراقية القديمة المعدة مسبقآ في اعدادات الراديو .. صوت حسين نعمة أعاد للرجل المزاج العالي بقوله ((ياروحي جذاب الهوا مالج جفلتي)) .. قاد الرجل السيارة قاطعاً الكثير من الكيلومترات وهو منغمر مع صوت حسين نعمه متأثرآ بالالحان .. فجأة بدأت عينه بالتوسع وهوة ينظر الى ذلك الصف الطويل للمركبات المحملة بالاغذية التي تقف أمامة منصدمآ بعدها .. توقف خلف المركبات وأخرج رأسة من النافذة ليقدر طول ذلك الصف الذي يكاد لا ينتهي حتى

تمكنت بصيرته من أن ترى نهايه صف المركبات التي تبدو عند مدخل المدينة ، سلم أمره وجلس داخل سيارتة منتظرا .. بدء الوقت يمر ببطئ وشعور الممل يغلب على المكان وذلك الصف يسير ببطئ شديد للغاية وكأنه لا يسير.. أخذت الساعات تمضي واحدة بعد واحدة وهو جالس يستمع للأغاني ويراقب الوضع بدقة .. حتى أصبحت تشير للساعة للخامسة عصرآ ويبدو أنه لم يتقدم سوى بعض المترات البسيطة .. بدء الظلام بالحلول على المكان كمآ وكأنه يوصل رسالتة لذلك الرجل بكمية الوقت الذي سرقه منه الانتظار ، لم يستطع صبر الرجل أن يكمل معه أكثر .. فترجل من سيارتة وتمشى نحو المركبة التي تتقدمه بالصف ، طرق زجاج النافذة لينزلها السائق أبتدأ الرجل الحديث بنبرة متعبة :

- سيدي ماذا يحصل هنا ؟

اجاب السائق بسخرية :

- أنهم يوقفون المركبات المحملة بالأغذية حتى تفسد يا سيدي! .. يبدو أنهم يريدوننا ان نترك الزراعة .

رد مخلف بنبرة ثائرة :

-وبعد ان نتوقف عن الزراعة هل نعمل بالسرقة ام بالسياسة ؟

نظر الرجل الى مخلف ليضحك مطولا ويجيبه :

- يبدو أنك الشخص الوحيد بهذا البلد الذي يميز بين السرقة والسياسة ؟! وكأنك تقول لي هل أعمل بالزرع ام بالحصد الاثنين زراعة يا عزيزي كما وماقبلها الاثنين أنحطاط !.

هز الرجل برأسه وأطبق يداه فوق بعضهم وتنهد ثم نطق بنبرة خافته متحسفة :

- دعنا من هذا الكلام يا سيدي لدي أربعة أطفال وانا معيلهم الوحيد ولا أقوى على هذه الأمور ، أنا سأهب الأن للمدخل لأرى ماذا يجري هناك .. أمنتك سيارتي ومحصولي .

ثم استدار تاركآ سائق السيارة بدون ان يستمع لجوابه اساسا ، تمشى الرجل في ذلك الطريق الطويل حتى وصل للمدخل ، نظر لما يحصل بأندهاش فالمسؤولون يوقفون المركبات ويتركونها متوقفة وهم جالسون يتبادلون المزاح

لم يستطع تحمل المشهد فنادى بهم :

- نحن ننتظر هنا منذ الصباح والثمار بدأت تذبل الى متى ونحن وننتظر بدون اي سبب مقنع يا سادة ؟

أتاه الرد من أحد الجالسين مقابيله: - اذا لم تحب أن تنتظر يمكنك العودة لديارك ؟

- لدي أربع اطفال سيدي من سيقوم بأطعامهم أن عدت ؟

- أذا يمكنك ان تصمت وتعود الى سيارتك وتنتظر الى حين صدور التعليمات الامنية بدون ان تزعجنا بمجيئك.

تنهد الرجل وداخله يتقد وكأن الغضب أشعل في جوفه نار لاهبة ثم ثار قائلا :

- وماهي تعليماتكم الأمنية ومتى ستصدر يا سيدي ؟

اجابه أحد الجالسين من جهة اليمين بغضب :

- يبدو أنك تريد أن تعمل معنا ؟ او انك تريد ان تعلمنا عملنا ؟ أسمع يا ايها مزارع القذر أن لم تعد الى سيارتك الأن سأجعل منك أضحوكة أمام الجميع!

صدم هذا الكلام الرجل وأوقد بداخله غضب الفلاحين الذي يعرفة الجميع على مدى التاريخ .. ماذا يفعل الغضب داخل فلاح أذا ثار .. فقد يغير حكم ويدحر جيوش ويتغيرمسار التاريخ بغضب الفلاح .. تقدم الرجل من ذلك الشخص ولكنه تماسك أعصابه ونفس من غضبه ليعود لرويته قليلا .. ثم ادار رئسة ليعود الى مركبته .. يتمشى بخطوات ثقيلة وبداخله صراع بين كرامته وتفكيره بمسؤوليته تجاه عائلته واطفاله .. ولكن لم تمضي سوا خطوات بسيطة ليعود ذلك الجالس بمناداته مرة اخرى :

- المزارع القذر! يا المزراع القذر! عد الى هنا فأنا لم أنتهي من حديثي معك .

عاد الرجل وتوقف أمامه واجابه بنبرة هادئة وكأنه يحاول أيصال فكره أنه لن يهتم لسفاهته :

- نعم ؟

- اعطيني بطاقة الهوية خاصتك .

أخرج مخلف من جيبه محفظته وفتحها مخرجا منها هويته ليشهرها للمسؤول .. أخذها منه بتقرف مصطنع ومسك بها بيده .. هز رأسه وبدء يقرأ بأسلوب منرفز :

- أذن أسمك مخلف أو مخلف القذر!

لم يتحمل مخلف كمية الأهانة التي تعرض لها فرد قائلا :

- نعم أسمي مخلف يا قذر!! تبا لك ما اوقحك وما احقرك !

أخذت تتعلى الأصوات وتبادل الأهانات حتى أجتمعو جميعهم على مخلف .. انهالوا عليه بالضرب المبرح بمأخرات بنادقهم وبعصيانهم .. أجتمع الناس يناظرون لما يحصل .. لم يستطع أحد منهم التدخل او الاقتراب خوفا لما قد يناله هو الأخر ، كان صوت العصى وهي تضرب جسد مخلف صداه اعلى من صوت تحسبات وتوكلات الحظور الناظرين بترقب من بعيد .

الجزء الثاني (ثورة)

تدور أحداث هذا الجزء

بعد ثلاثة وعشرون عاما من الجزء الاول

الفاتنة الشقراء

محافظة الحلة الساعة الواحدة بعد منتصف اليل

في ذلك الحي المتهالك العشوائي تحديداً في ذلك الزقاق المظلم وعند تلك النافذة الوحيدة المنيرة بشموع على شرفتها تطل منها فتاة شقراء فاتنة الجمال قصيرة القامة عيونها عسليتين وكأنهم خلقو ليفتن بهم بني ادم .. يبدو وكأنها بأواخر العشرينيات من العمر .. كانت تنظر الى السماء بهدوء وتأمل وشعرها الحريري يرقص بلطف مع الريح تارة يداعب وجهها واخرى يلحق بكتفها .. فجأة يقطع هدوء وسكينة الموقف عودة النور للحي بقدوم التيار الكهربائي .. انارت مصابيح المنازل المجاورة الحي بأكمله .. بدأ الفرح يرتسم على وجه الفتاة استدارت ودخلت الى غرفتها .. داخل الغرفة يوجد في احدى الزوايا سرير حديدي صغير موضوع بطريقة عشوائية الى جانبه يوجد جهاز مربع معقد تخرج منه الخراطيم لم اتمكن من معرفه ماهو .. بالجانب الاخر من الغرفة يوجد كمبيوتر قديم جداً موضوع فوق طاولة رثة عليها الكثير من الاوراق المبعثرة .. وكرسي خشبي مزخرف .. اقتربت الفتاة نحو الكمبيوتر بشغف ضغطت على زر التشغيل واخذت بيدها تسحب الكرسي للجلوس بدأ ذلك الكمبيوتر بالعمل كالسلحفاة وهي وكأنها ارنب بري يقفز من شدة فرحه .. ماهي الا لحظات حتى بدأ الملل يخيم على الفتاة .. نطقت موجهتا يدها نحو شاشة الكمبيوتر :

- هيا يا غبي اعمل .. التيار الكهربائي بات يأتي كل يوم ثلاث ساعات فقط وانا اضيع ساعة كاملة بأنتظارك تعمل!

يبدو ان الكمبيوتر استجاب لطلب الفتاة وهاهو قد أنتهى من التشغيل اخيراً .. دخلت الفتاة الأنترنت وأخذت تتصفح المواقع .. من هنا وهناك كانت تبحث عن بعض الاغاني الاجنبية التي سمعتها قبل ايام في هاتف صديقة لها .. انتهى بها المطاف في موقع ينشر الاشخاص به جميع الصوتيات التي يرغبون بنشرها ضغطت على زر للتشغيل التلقائي وبدأت الاغاني تعمل واحدة بعد الاخرى .. في أول البدء كانت اغنية راقصة قد اشتغلت .. انسجمت الفتاة مع الاغنية بطريقة رهيبة حتى بدأت تهز رئسها الى ان انتهى بها المطاف وهية منتصبة وسط الغرفة ترقص على الانغام مبتسمة مفعمة بالحياة .. ماهي الا دقائق معدودة حتى انتهت الاغنية فجأة وبدا بعدها مقطع صوتي غريب كما وانه تنهد شخص ما مصاحب له صوت ولاعة .. اقتربت الفتاة من الكمبيوتر .. ليبدء شخص ما بالحديث كان صوته بحوح جدا حين بدأ قائلا :

- نعم .. اود اولا ان اعتذر لابي لاستخدامي الراديو الخاص به دون اذنه ، والاعتذار لأمي لبعثرتي لاغراض المطبخ ولتدخيني داخل البيت .

ظنت الفتاة انه تسجيل عادي او اعلان ما .. اقتربت لتغلق التسجيل وحين اقتربها من اغلاقه أهم الرجل داخل التسجيل بالحديث مكملاً

- ثم بعد ، رسالتي الاخيرة لهذا الكوكب رسالتي الاخير لكل من أستنجيتهم وجعآ ولم يسمعو لي رسالتي الاخيرة لكل مسؤول عن دمار بلدي العراق لكل من هددني وهدد عائلتي بالموت رسالتي الاخيرة ونصها : تبا لكم انا لا اخاف منكم! .

توقفت الفتاة ولم تغلق التسجيل وهي تستمع بفضول وبداخلها الكثير من التسائلات .. وهي تستمع دخلت الى معلومات التسجيل كان من شارك التسجيل امرأة من بلاد ما .. مع وضعها معلومات عن التسجيل ولكن كانت اللغة التي كتبت بها هذه لمعلومات هي لغة غريبة بالنسبة للفتاة .. نسخت الفتاة الكتابة وقامت بترجمتها بأحد برامج الترجمة الموجودة على كمبيوترها .. ظهرت نتيجة الترجمة صادمة للفتاة كما كتب

" مرحبا .. انا فتاة تركية من ولاية سامسونك ادعى سيفدا .. سلمني هذا الشريط شخص في احد الليالي ولم اكن افهم ماذا يوجد بداخله رغم اني سمعته عدة مرات متتالية .. لم افهم سوا اسم الشخص يبدو انه يدعى روبرت .. ولم استطع سؤاله عما يوجد بداخله لانه لم يكن يتحدث التركية وبعد يوم عدت الى المكان اذا بالمنزل محترق بالكامل .. ولم اتمكن من التواصل مع هذا الشخص ثانية .. دعاني فضولي لمشاركة هذا المقطع .. على من يعرف ترجمته لي ان يساعدني .. شكرا لكم "

عادت الفتاة لتشغيل المقطع وسماعه بهدوء .. كان المقطع حزيناً جداً عليها .. تحركت كل مشاعرها وهي تستمع لروبرت ينوح على موت اهله .. دخلت كلمات روبرت كلسهام في قلبها

الرقيق بدت عيونها مغرورقة بالدموع ويديها تغطي شفتيها حتى سرح تفكيرها بذكريات الماضي البعيد .. يوم كانت جالسة مرتعبة من شدة الخوف بسيارة مركونة على جانب الطريق ووالدها ينزف عند الجانب الاخر وينادي مريم ابنتي اياك ان تنزلي من السيارة وهو يتلوى متأثرا بجراحة امام ناظريها .. وقعت مريم من على الكرسي مرتطمة بأرضية الغرفة .. حاولت القيام مجددا ولكنها لم تستطع .. راحت تزحف على الارضية متجهة نحو زاوية الغرفة المقابلة التي يقبع بها سريرها وذلك الجهاز .. كان الوصول سهلا نسبتا لصغر حجم غرفتها .. اقتربت من الجهاز وقامت بالتسطح على ظهرها أخذت تخلع ملابسها العلوية بصعوبة حيث كانت ترتدي ثوب أخضر غامق طويل ضيق قليلاً من منطقة الخصر .. عانت قليلاً حتى تخلصت من ثوبها ولازت معاناتها مستمرة مع حمالة الصدر .. ولكن للفتيات خبرة بفتح زر حمالة الصدر الخلفي بسرعة ودقة كما وانه امامها .. مدت يداها نحو الجهاز لتسحب منه بعض الخراطيم والوصلات الكهربائية تربطها على جسدها وقناع للتنفس قامت بوضعه على وجهها .. بات كل شيء روتيني بالنسبة لمريم فهي تمارس هذا الشي من زمن بعيد .. قامت بتشغيل الجهاز وبدء يظهر على شاشتة الصغيرة بعض من الارقام مثل نبضات القلب وغيرها مع صوت صفير منخفض يطلق كل بضع ثوان .. شعرت مريم بالارتياح قليلاً وهي ممدة على الارضية مع كل هذه الكمية من الاسلاك التي تلتف حول جسدها .. سرح نظرها نحو السقف وبدء جسدها بالتعرق كاملاتنا .. كان صوت روبرت المسجل وكأنه لم

يفارق اذنيها .. غرقت مريم بافكارها المتشتته كما ومرت الدقائق بهدوء في تلك الغرفة .. وبعد نصف ساعة تقريبا .. بدء جسد مريم العاري يرتعش برداً فهو مبتل بتعرقها وكما وتركت النافذة مفتوحة يدخل منها نسمات هواء باردة .. أستجمعت مريم قواها مجددً .. مدت يداها نحو الجهاز لأطفائة .. أخذت بيدها تخلع كل الاسلاك من جسدها حتى تخلصت بالكامل من ذلك الجهاز .. وضعت يدها على الارضية لتتكأ بها ولتساعدها على النهوض مجدداً .. نهضت مريم وأخيراً بعد عدة محاولات راحت تتمشى نحو الكرسي .. قامت بالجلوس ووضعت يديها على وجهها كما وخصلات شعرها الحريري بدأت تنساب على وجهها .. أخذت تتأمل قليلاً ثم تنهدت وأخرجت من خلف الكمبيوتر دفتر صغير وردي اللون قامت بفتحة وسجلت : " لم يكن يومي الاخير، شكرا للرب ، انها المرة الثالثة هذا الشهر مما يزيد اصراري على فعل شيء ما ، قبل رحيلي الذي بات قريب كما ارى !"

أغلقت مريم الكتاب بقوة وقامت برميه بعيداً ، عادت الى حاسوبها وقامت بتشغيل مقطع روبرت مجدداً ، بدء شيء ما بالتدفق داخل جوفها حتى احمر وجهها ، لا ارادياً قامت مريم بفتح بريدها الالكتروني وبدت بالكتابة :

" يا عراقيين يا اخوتي يا ابائي يا اخواتي ويا امهاتي يامن تنتظرون موتكم بدم بارد ، ويامن تقاومون من اجل رغيف عيشكم يامن ماتت احلامكم مرتطمة بفشل حكوماتكم المتعاقبة

رسالتي هذه من أجل كل طفل حمل انقاذ منزله فوق جسده الرقيق حتى توفى حاملاً داره على كتفه ، من أجل كل قطرة دم سالت من جثث كل ذنبها انها سميت عمر و علي ، من أجل كل أثر سوط على جسد رجل كهل عذب ظلماً ، من أجل كل عصفور حمل رسائل السلام ولكن الرصاص لن يسمح له بالهبوط على ارض العراق ، من أجل كل من فارقه الاجل ونقش اسمه فوق سور الوطن شهيدا خالداً !

انتفضوا ثوروا وتجمهروا احشدوا الحشود واكسروا القيود عانقوا السماء ، لم يعد هناك وقت للخوف من الموت فنحن نموت بلا سبب جملتا ومفردا نموت محترقين بالانفجارات ومقتولين بالرصاص ، ولم يعد هناك وقت للخوف من السجون فنحن نسجن ونعذب ونعد السياط مع الجلاد بلا سبب ايضا فلما الخوف ؟ هل تعودنا على الاغلال وهي تمسك في رقابنا ام ان روح الثائر التي بداخلنا قد تبددت ونيراننا قد رمدت ؟

سأقف وحدي يوم الاحد القادم في ذلك الميدان وسط المدينة وسأنادي بعالي صوتي باحثتاً عن حقوقكم المسلوبة ، من يريد مشاركتي بالوقوف سأرحب به وسيسعدني ذلك كثيرا ، وان بقيت وحدي فلم يحزنني ذلك ايضاً .

مريم "

قامت مريم بأرفاق مقطع الصوت المسجل لروبرت مع رسالتها وبدأت بأرسالها الى جميع من تعرفهم وقامت بمشاركتها بجميع وسائل التواصل الاجتماعي المشاركة به ثم تركت

الحاسوب متجهة نحو سريرها .. تسطحت فوق سريرها واخذت تنظر نحو السقف كما وانها في مكان اخر .. يبدو انها ادركت حجم ما اقحمت نفسها به .. وحجم المشقات التي ستواجهها .. فمهمة ايقاظ شعب نائم اصعب تحدي يمكن ان يواجه البشر على مر التاريخ ، كانت قلقة والمهلة التي وضعتها لنفسها كانت قصيرة نسبياً .. كلها ثلاثة ايام ويأتي يوم الاحد الموعود ، لم تعلم هي ذاتها ماسبب اختيارها ليوم الاحد .. هل هو مجرد مصادفة ام انه تقديساً لروبرت الذي كان يقدس هذا اليوم من كل اسبوع ، ضلت مريم غريقة افكارها حتى غلبها النعاس لتنام كما لو انها لم تنام دهراً فهي متعبة الجسد والفكر .

بين مصدق ومكذب

يوم الخميس ريف محافظة ديالى الساعة الرابعة مساءاً

في بستان ما وتحت ظلال الاشجار كانت تجلس جميع سيدات القرية يتداولن الحديث فيما بينهن ، لم يكن حديثهن عن اخر صيحات الموضة او عن المكياج كما تتخيلون سادتي .. فتلك النساء التي احدثكم عنهن من نوع الكادحات التي يربن ايتامهن عوضاً عن اضافرهن ..اللواتي يحملن سلال الثمار واوعيه الحليب عوضا عن الحقائب الفاخرة ، اعتقد قد رسمت الصور في مخيلاتكم الان .. نعم هي الصورة صحيحة انهن المكسوات بالاسود المعصوبات الرأس السمراوات البشرة المناضلات بلا منازع ، قطع حديثهم وصول حافلة على الشارع القريب من البستان وبدء بعض الشباب الترجل منها .. كانت الامهات ينظرن الى الحافلة بأنتظار أبناءهن طلاب الجامعة .. ترجل من الحافلة شاب طويل أسمر البشرة بعيون سوداوات وملامح حادة يرتدي قميصا ابيض وسروال اسود كان يتمشى بصورة جذابة حتى اتاه صوت من الخلف ينادي :

- أحمد انتظر اريد التحدث معك .

أستدار احمد ناظراً لمناديه كان شاب قصير القامة احمر الشعر ذو بشرة بيضاء منمشة مع ملامح ناعمة وفك رفيع ، اذ باحمد يبتسم قائلا :

- بسام صديقي كنت ابحث عنك بالارجاء .

اقترب بسام وبدء بالحديث بصوت خافت :

- من سيقنع مجلس التحقيق الجالس بالبستان عن فكرة الذهاب الى بغداد التي تداولناها اليوم مع بقية الشباب ؟

اجاب احمد بصوت خافت ايضاً : من غيري ترمون عليه المصاعب يا صديقي .. ولكنني مستعد لمواجهة الحرب الضارية القادمة !

اخذ احمد يتمشى بجوار بسام متوجهين نحو عصبة النساء الجالسات .. وعند وصولهم وبعد اللقاء التحية والسلام بيهنم رمى احمد حقيبته التي كانت على ظهره وبدأ حديثه قائلاً :

- امم .. سيداتي هل قرأتن مانشر على مواقع التواصل الاجتماعي كلها ؟ هل شاهدتن الصفحات وهي تتناقل ماكتبت الفتاة مريم ؟ هل سمعتن التسجيل الصوتي ؟ هل اثر فيكم ذلك ؟

اجابت احد النساء الجالست :

- نعم .. لقد دخلت كلماتها قلبي بقوة وكانت كتاباتها توصف الحال بدقة ولكنني اعلم مايجول في داخلكم .. اكد لكم اننا غير موافقون على ماتفكرون به فنحن خسرنا الكثير ولم يبقى لدينا امل الا انتم لذلك تأكدوا اننا لن نسمح لكم بالذهاب لبغداد !

أجاب احمد مرة اخرى بصوت جهيرة وبنبرة ثقة :

- ولكن يا ام بسام يجب علينا الوقوف مع من يقف معنا مع من يدافع عن حقوقنا ، هل تعتقدين ان جلوسنا هنا هو امان لنا ؟ يا

ام بسام سجن والدي ثمان سنين و قتل من شدة التعذيب بالسجون وكان كل ذنبه المرور على الطريق العام!

نظرت احد الجالسات الى احمد بفكر شريد وقالت :

- سجن والدك مخلف اثناء ذهابه الى بغداد لايصال المحصول .. وتركك انت واخوتك الصغار لي .. لقد كان الامر شاق جداً يا ولدي ولكنني تمكنت ان اراك تكبر امام عيني .. هل بعد كل تلك السنين التي تعبت في تربيتك بها .. تريد ان تجازيني بمصير والدك ؟

هز احمد برأسه وبدأ وكأن لونه قد تغير .. احس ساعتها ان معركة اقناع ام بالمخاطرة باعز ماتملك وهو ابنائها مستحيلة وان من يفقد شخص يكون قادراً على تخيل ان يفقد الاخر .. وجد في عيون النساء الجالسات خوفاً من صعب ان تمحيه الكلمات ، ولكن نار الثائر التي بداخله لم تكن قادرة على ترك الامر بهذه السهولة واحساسه بأن موت والده قد كان ظلماً وان كمية العذاب التي عاشها والده بأيامه الاخيره كانت دوماً فكرة لا تزاح من عقله .. سكت احمد وجلس بالقرب من بسام الذي بدوره احس بخيبة كبيرة ظننا منه ان فارسه احمد قد خرج مهزوماً من معركة الكلام والاقناع ، بعد عدة دقائق من الصمت القاتل المخيم على المكان ، وقف احمد واشار الى بسام بيده دون ان تحس النسوه بان يتبعه .. راح يتمشى بالبستان وهو خلفه وبعد مسيرة خمسة عشر متر تقريباً ، استدار احمد الى بسام وبدأ الحديث بصوت حازم وبنبرة اندفاع :

- يا بسام وكما رأيت ان مهمة اقناع تلك النساء مستحيلة ، وهذا الشي بنظري منطقي جداً لانهم نساء فقدت كثيراً وبقلبها خوف كبير بمجرد التفكير بالتوجه نحو بغداد ، ولكنني لن استسلم في بداية الطريق ، انا مؤمن بشيء ويجب علي فعله ، لذلك سأذهب دون علمهم .. اذا تريد الذهاب معي مرحبا بك يوم السبت في اول حافلة متجهة نحو بغداد صباحا .

أبدا بسام ترحيبه بفكرة أحمد قائلاً :

- أنا معك يا صديقي .. كلامك منطقي جداً .

تصافحا أحمد وبسام بحماس وراحو يتمشون بالبستان ويتحدثون فيما بنهم .

الحكومة

يوم الجمعة محافظة النجف الاشرف الساعة العاشرة صباحاً

في ازقة مبنى مديرية شرطة النجف يتمشى بانضباط شاب يافع طويل القامة بقوام رياضي و وجه ملس وملامح حادة له عيون عسليه اللون وبشرة بلون حنطاوي يبلغ من العمر ثنان وعشرون عام تقريبا يرتدي بدلة عسكرية نظيفة وجميلة ويضع نجمه واحدة على كتفه ويحمل بيده بعض الاوراق .. وصل الى باب غرفة مدير الشرطة .. وقف عند الباب ليلتقط انفاسه وليرتبه ملابسه بعدها اخذ يطرق بيده الباب بهدوء .. سمع صوت غليظ من الخلف الباب منادياً اياه بالدخول .. دخل الشاب وقام باداء التحية العسكرية وبدء بعدها بالكلام بنبرة حزم :

- الملازم ادم مازن جاهز للخدمة سيدي .

ثم مد يداه مقدما تلك الاوراق للمدير .. كان المدير يجلس خلف مكتبه .. بدين بعض الشيء شعره ابيض وبشرته بيضاء مسمرة .. اخذ الاوراق من ادم ومد يداه نحو الطاولة ليلتقط نظارته ثم ارتدها وبدء القرائة بصوت جهير ونبرة ثقة : الموضوع انتساب .

ثم اخفض صوته واكمل يتمتم .. ثم اخذ ينظر بعيون ادم مباشرتا ليبدء الحديث مرة اخرى :

- ماشاء الله يا بني الاول على دورتك بتقييم عالي جداً تحتاج مديريتنا لمجتهدين امثالك .

اخفض رأسه مرة اخرى واخذ قلم وبدأ يكتب بعض الكلمات بخط غير مفهوم ثم قام بالتوقيع تحتها ، سلم الورق لادم مرة ثانية وقال له :

- خذ بني واذهب الى مكتب النقيب المجاور لمكتبي ليكمل اوراقك وتباشر بالعمل .. حظ موفق .

اخذ ادم الاوراق وقام بتأدية التحية العسكرية مرة اخرى وخرج من الغرفة ، اكمل ادم الاجرائات وقام عدد من افراد الشرطة بتجهيز مكتب صغير ومتواضع لادم ليباشر عمله به ، جلس ادم على كرسي مكتبه وبدء عمله بصورة رسمية لاول مرة .. اخذ يقرأ بعض المستندات ويطلع على بعض الوثائق الخاصة بالمديرية وطريقة عملها .. راح يرتب الدروج التي في مكتبة اراد أدم ان يوضفها بطريقة مرتبة .. ان كل شخص يتفوق دراسيا ويكون من الاوائل عادتنا مايكون مرتبا بطريقة جنونية .. أخذ أدم ينظف الدروج ويخليها ليسجل على كل منها وضيفته .. الاول للمستندات والثاني للارشيف وهكذا وهو يرتب وجد بعض الملفات القديمة المنسية في احد الدروج .. دعاه فضوله لتفحصها .. كان الملف الاول باللون الاحمر .. فيه عدد من الاوراق .. قام بفتحه .. ليجده ملف قضية .. بدأ القراءة صفحة بعد صفحة .. فجأة تغيير لونه وبدت عليه علامات التوتر واضحة حتى

صارت ملامحه شاحبة اللون .. راح يقلب بالصفحات ويعيد القراءة .. أخذ دفتر ملاحظاته وبدأ بالتسجيل " مخلف حمادي من ديالى عمره لحظة الاحتجاز اربعين عاماً .. مدة الاحتجاز ثمانية أعوام ..الملاحظات وفاة مشبوهة اثناء الاحتجاز لعدم ارفاق تقرير الطبيب العدلي اضافة الى احتجاز متهم ثمانية اعوام بدون التحقيق معه! " أغلق ادم دفتر الملاحظات ووضعه جانباً .. أخرج بقية الملفات وراح يطلع عليها على حدى .. كانت كل القضاية متشابهة .. متهم يسجن لسنين دون التحقيق معه ثم يتوفى داخل السجن ثم يدفن دون أن يعرض على طبيب العدلي .. كان الأمر غريب جدا بالنسبة لأدم .. أخرج أدم كل الملفات وأخذها بيده مع دفتر ملاحظاته .. وراح ذاهباً الى غرفة المدير .. طرق أدم الباب ودخل .. أدى التحية العسكرية ثم بدأ حديثة بنبرة أستغراب :

- سيدي لدي بعض الملفات اود أن اطلعك عليها.

ضحك المدير قليلاً ثم بدأ حديثه ساخراً :

- يبدو أنك ضابط مجتهد .. في أول ساعات عملك وجدت شيء ما .. تفضل بني.

جلس ادم على الكرسي المجاور لطاولة المكتب .. وضع الاوراق على المكتب وطلب من المدير قراءتها .. قرأها المدير وبعد

أتمامه لها .. نظر الى أدم نظرة حادة ثم بدء الحديث بنبرة عصبية قليلاً :

- يبدو أنك لا تعلم طريقة عمل الشرطة يا فتى .. من طلب منك التحقيق بقضايا مغلقة من عشرون عام ؟!

بدء أدم حديثه متلعثماً :

- سيدي لقد وجدها في درج مكتبي وبعد اطلاعي عليها وجدت بها الكثير من الخروقات القانونية التي لا يستهان بها وانت موقع على ذلك .. فما كان مني الا ان استفسر منك عنها .

ضحك المدير مرة أخرى ثم أجاب بأستهزاء :

- على مايبدو أنك تود أن تعطيني درساً بالقانون بعد كل سنين خدمتي هذه أسمع يا فتى .. سأخذ هذه الملفات وأقوم بما أجده يلزم للقيام به .. أنصرف أنت الأن .

نظر أدم الى المدير نظرة شك قائلاً :

- يجب على هذه الملفات ان تدخل الى أرشيف المديرية سيدي وبعد ذلك نبدء بأتخاذ الاجراءات المطلوبة .

تعصب المدير جداً وضرب بيده على طاولة مكتبة وقال :

- أنت يا مغفل لازلت تحاول ان تعلمني كيف أعمل وماذا افعل .. أغرب عن وجهي الان بسرعة !

خرج أدم من غرفة المدير متجهاً الى غرفته .. راح يتمشى بثقل .. كان سرح البال .. مشتت جداً .. يمشي ويفكر حتى وصل لمكتبة .. جلس أدم قليلاً على كرسيه .. طرق باب مكتبه بقوة ودخل شرطي .. قام بتأدية التحية العسكرية .. ثم أعطى أدم ورقة كان يحملها قائلاً :

- سيدي أرسل لك المدير هذه .

أمره أدم بالانصراف .. وبدأ بقراءة الورقة .. يبدو أنها قرار نقل للعاصمة بغداد ضحك أدم قليلاً .. ثم بدء الحديث وهو ينظر للورقة :

- هكذا الامر أذا .. من يكشف اللاعيبهم ينقل .

ضحك قليلاً .. ثم بدأ الحديث مرة أخرى بنبرة سخرية :

- الحمدلله بغداد .. ظننتها للوهلة الأولى الى جبال زاخو أو الى ميناء الفاو أو منفذ عرعر الحدودي .

طوى ادم الورقة وقام بوضعها في جيبه .. أخرج سكائره من جيبه .. وقام بأشعال واحدة .. بدء ينظر الى الدخان وهو سارح البال .. أرجع مسنده الكرسي الى الوراء و تكأ بظهره عليها ثم رفع قدميه ووضعها فوق الطاولة .. بدء ينظر الى الدخان بعمق أكثر .. وكأنه يبحث عن حقيقه ما داخل وهم الدخان المتصاعد .

حتى عصفوري سيذهب معي

يوم السبت محافظة الحلة الساعة الثانية بعد منتصف اليل

كانت مريم جالسة على الكرسي تتصفح بكمبيوترها القديم في غرفتها ، كانت مندهشة جداً من ردود الافعال وكمية التفاعل التي حصدتها رسالتها فقد عادت نشرها الكثير من الصفحات الكبيرة .. حتى ان الصحف قد تكلمت عنها والاعلام .. قد كان الامر صادما بالنسبة لمريم .. وهي تراقب بصمت وعدد الاعجابات والتعليقات والمشاركات يزيد بدون توقف .. بين من يعتقد انها مؤامرة ويحلل مانشر بعمق اكثر ويخوض بحور من الاوهام وبين ما يشجع ويدعم وبين ما يراقب بصمت .. كانت مريم خائفة بعض الشيء ولكنها مؤمنة بقضيتها وتريد الاستمرار .. تركت مريم الكمبيوتر لانها شعرت بالارهاق والصداع .. تمشت نحو النافذة واخذت تنظر الى الخارج ، ثم عادت ونظرت نحو المرايا التي كانت قابعة على باب دولابها ، بدأت تحدث نفسها بصوت خافت ونبرة بحوحة وهي تحاول تشجيع ذاتها واستجماع قواها قائلة :

- غداً يامريم .. غداً سأصرخ غداً سأقف شاهقة وسأطالب بحقوقي وحقوق الجميع .. غداً سأشتعل وسيضيء الميدان نوراً .

ثم تركت المرايا وتوجهت نحو سريرها .. تمددت وحاولت أن تنام قليلاً ولكن قلقها لم يتركها تنام .. حاولت وحاولت ولكن دون جدوى .. مضت الساعات وهي تغرق راسها داخل الوسادة ولكن دون جدوى ..حتى انقشع الظلام .. وبدأت الشمس تعلو في عنان السماء .. تبعث بأشعتها نحو نافذة مريم .. حتى تسلل ذلك الشعاع من بين جفون مريم المغلقة الى عيناها .. نهضت مريم من على سريرها بكل نشاط عكس ما كان متوقع من شخص لم ينم الليل بأكمله .. ولكن يبدو أن عظمة هذا اليوم هي من منحها كل تلك القوة والنشاط .. راحت مريم تبدل ثيابها وتجهز نفسها للرحيل .. أتممت مريم كل شيء وغادرت منزلها ..نزلت مريم الى الشارع.. أستغربت مريم من كمية الناس التي تنظر اليها بالشارع ومن عدد الناس الذين يوقفوها ويتحدثون معها .. أستقلت سيارة أجرة وذهبت نحو كراج الحلة للذهاب نحو بغداد .. كان كل من بالكراج يوقفون مريم للحديث معها .. كان تسمع بكل مكان بعض الجمل المتكررة .. مثل نحن معك يا ريم او انا ذاهب لبغداد لمساندتك او هيا يا مريم علينا فعلها وبعض من الجمل كانت لشكرها والـى أخره من تفاعل الشارع معها .. ركبت مريم الحافلة متجهة نحو بغداد وضعت رأسها على زجاج النافذة وراح تنظر الى الطريق ببال شريد .. كانت تتخيل ذلك العصفور الذي كانت تراقبه عند ذهابها مع والدها لبغداد قبل سنين عديدة .. كما وكأنه يطير بجوار النافذة يقترب قليلاً من مريم ويبتعد

بعدها مباشرتاً .. تارة يعلو في عنان السماء وأخرى يهبط قريب من الارض ومريم تراقبه بدون ان يرف لها جفن أبدا .. وكأنها كانت تحاول الطيران معه .. فوق عنان السماء .. فوق زحمة البشر هناك حيث تكون حرة .. حرة بكل معنى الكلمة .. حرة بلا حدود بلا عادات وتقاليد قديمة وبغيظة .. حرة!

قضية وطن

يوم الاحد العاصمة بغداد الساعة الثامنة صباحاً

كان كراج العلاوي مزدحما جداً .. جميع الناس هناك يتحدثون عن الميدان وعن مريم .. وصلت حافلة ودخلت الى الكراج .. بدء الناس بالترجل من الحافلة وكان من بينهم احمد وبسام .. خرجو نحو الشارع وقامو بطلب سيارة اجرئ .. ركب الاثنين بدء بسألهم سائق السيارة :

- الى الميدان يا شباب ؟

التفت احمد وهو يناظر بسام باستغراب ثم عاد نظره الى سائق السيارة وبدأ بشهيق طويل وعند اخراجه للزفير راح قائلا :

- نعم ولكن كيف علمت سيدي ؟

كل من ركب معي اليوم كان ذاهباً الى الميدان عزيزي

يبدو انه الميدان سيحتشد بكثير من الناس اليوم .. وهذا جيد

انها الساعة الثامنة صباحاً والميدان محتشد بالكثير .. اتوقع بعد ساعات من الان سيتضاعف العدد اكثر واكثر.

وفي طريقهم للميدان كانت هناك نقطة تفتيش لعناصر الشرطة قريبة جداً من الميدان تفتش السيارات الذاهبة من والى الميدان .. اوقفهم ضابط الشرطة وطلب اوراق السيارة وبطاقة

هوية الراكبين .. كان الضابط يتحدث بالهاتف لشخص مايقول له : - نعم قامو باستدعاء كل العناصر في بغداد وبعض الضباط القديمين من بعض المحافظات القريبة من بغداد للسيطرة وبسط الامن على الميدان وانا من ظمنهم .. نعم انا الان بالقرب من الميدان .. لدي عمل ساحدثك لاحقا .

انهى الضابط كلامه وبدأ يتفحص بالاوراق التي قدمت له ، وبعد التفتيش والتاكد من السيارة والاشخاص .. قام بالسماح لهم بالدخول .. مضت السيارة حتى توقف السائق بالقرب من الميدان وبدء الحديث :

- هذه اقرب نقطة نستطيع الوصول لها بالسيارة عليكم الاكمال سيراً يا شباب .

تشكره احمد وبسام وترجلوا من السيارة وسط ذهولهم بكمية الناس المتواجدة بالميدان وماحوله .. بدأوا بالخوض بين زحمة الناس وهم يتلفتون .. وبعد عدة دقائق من السير وسط الناس ادركوا عمق الميدان وهم بين الزحمة ، حتى انني لم اعد اراهم او اميزهم من بين كل تلك الاعداد الغفيرة .. تاركين اياهم يهتفون بسم الحرية ويختلطون مع الشعب لنذهب لزاوية اخرى من الميدان .. خلف تلك الحشود من الجهة المقابلة كانت عناصر مكافحة الشغب منتشرة مع دروعها الزجاجية وعصيانها .. واقفين يترقبون بحذر .. وخلفهم عدد من عناصر الشرطة ومركبات الشرطة المركونة .. كان الضابط ادم موجوداً ايضا ..

حيث كان يقف عند احد المركبات ويشاهد مندهشاً بما يجري .. بعد دقائق بدأت صيحات الناس تتعالى "وصلت مريم وصلت مريم" حتى اعتلت مريم قاعدة التمثال الواقع وسط الميدان وبيدها مكبر صوت وبدأت بالهتاف : عاش الوطن عاش والحشود المتحمسة تردد ورائها عاش الوطن .. ثم بدات تهتف : انا العراق ولن يحكمني الفاشلون والفاسدين والسراق

وكانت الحشود تردد ورائها بدون توقف .. كانت مريم تقف على قاعدة ذلك التمثال ترتدي الازرق وتعصب راسها بشماخ وكانت خصل شعرها الاشقر تتطاير بالهواء ووجهها المحمر من شدة حماسها كانت وكانها قبلة الاحرار او شعلة تحترق وتضيء ذلك الليل العاتم بالذل والهوان ، وهي تهتف بعالي صوتها كان الضابط ادم ينظر من بعيد الى جمال تلك الفتاة والى شجاعتها وشموخ وقفتها التي لم يفعلها الكثير من الرجال .. راح غير مدركاً يقترب منها لا ارادياً كانت قدماه تسير به نحوها بينما عقله كان مشغول بكلماتها التي لطالما تمنى ان يهتف بها هو ايضا امام الملئ ، حتى وصل بالقرب من التمثال ، كان الشرطة يطوقون التمثال بالكامل .. وصل ادم والتمثال وامر الشرطة بفك الطوق ليدخل .. صعد الى قاعدة التمثال ووقف بجوار مريم التي كانت مستغربة من تصرفه .. راح يهتف معها هو ايضا .. الى ان احست بالانسجام والطمئنينة له وعادت تردد بالهتافات .

انا العراق ولن يحكمني الفاشلون والفاسدون والسراق !

صحوة

محافظة الحلة الساعة العاشرة صباحاً

كان وقع صوت مريم قويا جداً ومأثراً بجسد ذلك العجوز الممدد على سرير احد المستشفيات لدرجة انه ايقضه من غيبوبته التي دامت ثلاث وعشرون عام .. فتح عيناه وراح ينظر بغرابة للجدار المتهالك الذي امامه وللاجهزة التي كان موصل بها كان وكأنه يبحث عن مريم او عن الحشود التي وقفت بالميدان او عن الميدان ذاته .. احس بدوار شديد وراحت يداه ترتعش .. اخذ ينظر الى يداه التي بدت وكأنها غريبة .. اراد الصراخ ولكن وقع الموقف كان صعباًعليه جداً ، ان تصحو من حلم دام اكثر من عشرون عاماً ليس امر سهل ابداً .. فتح باب الردهة ودخل رجل يرتدي بدلة بيضاء ويضع سماعات الاطباء كان كبيرا بالسن طويل وبدين قليلاً ابيض البشرة .. رسمت على ملامحه الاندهاش فوراً .. وقف عند السرير وبدء الحديث بنبرة عالية مندهشة :

-لقد استيقظت اخيراً يا ابراهيم ! كانت غيبوبتك قد استمرت كثيراً.. وكنا هذا الشهر على موعد ان نفصل تلك الاجهزة عنك ظناً منا ان حالتك باتت ميؤوسة وانك لن تستيقظ بعد كل هذه السنين ابداً .

نظر الرجل الى الطبيب بدون ان يبدي اي تغير في ملامحه .. وكأنه جماد بعينين تتحرك فقط .. أخرج الطبيب من جيبه حقنة دواء وقام بحقنها في كيس المغذي الذي كان معلق بالقرب من الرجل ثم نظر الى الرجل ليقول :

- من الطبيعي جداً أن لا تتكلم الأن .. ولكنها مجرد أسبوع لتعود تشاركنا الحياة بجميع حواسك سيدي .

ثم بدأ ببعض الفحوصات الطبية وتسجيل حالة المريض ما الى ذلك .. ثم أنصرف تاركاً الرجل بحيرة كبيرة .. عاد الرجل ينظر الى المكان بتمعن وهو يحاول تذكر كيف أتى الى هنا وماذا جرى .. كان الرجل مصدوماً ولا يستطيع الحركة مطلقاً مجرد أستطاع تحريك عينيه .. مرت الساعات وهو على هذا الحال .. حتى حل المساء .. كان الرجل ينظر من النافذة المقابلة لسريره للخارج .. وللشمس وهي تغيب .. فجأة سمع صوت فتاة يكلمه بلطف في أذنه اليسرى :

- أبي .. أبي أشتقت اليك يا أبي

كان الرجل يحاول الألتفات ولكنه لم يستطع .. حاول وحاول ولكن بلا جدوى .. مضت الساعات .. وأختفت الشمس من نافذته .. ولكن ذلك الصوت لم يختفي .. شعر الرجل بالملل من محاولته الفاشلة بالألتفات لذلك الصوت حتى غلبه النعاس ونام مضت الأيام على ذلك النحو .. كان يقضي نهاره يراقب الشمس

وليله يحاول الالتفات لذلك الصوت حتى ينام .. وبعد عشرة أيام .. وفي غياب الشمس .. سمع الرجل ذلك الصوت مجدداً .. لم يحاول الألتفات هذه المرة .. يبدو أنه قد اعتاد ذلك الصوت أو انه شعر باليأس من محاولته الفاشلة .. ولكن بعدد تكرار الصوت لعدة مرات .. حاول الألتفات ولكن في هذه المرة وعكس العادة أستطاع الرجل الألتفات لينظر الى جانبه كان شعوره لا يوصف من السعادة بنجاح محاولته لدرجة أنه أنساه ماكان يريد الألتفات لأجله .. حتى تذكر أمر الصوت .. ولكنه لم يجد أحد يناديه أستغرب قليلاً .. ثم عاد رأسه مرة ثانية نحو النافذة لينام مجدداً كان الرجل يتعافى بسرعة .. فبعدها بأيام أستطاع تحريك أصابعه .. و بعدها بفترة أستطاع النطق بكلمات متقطعة مجدداً وبعد بعض الاسابيع .. وهو جالس في غرفته ومعه الممرضة تتحدث معه لكي يتمرس الكلام قليلاً .. دخل الطبيب الغرفة .. وقف بقرب سرير الرجل .. وبدأ الحديث بنبرة عزم وتحدي قائلاً :

- أبراهيم عليك أن تتحدث معي الأن وتسألني عن أي أستفسار يجول في خاطرك .. عليك أن تخرج بكل الكلمات من جوفك .. هيا أفعلها يا رجل .. الم تشتاق للحديث بعد كل هذه السنين التي كنت مغيب بها ؟!

نظر أبراهيم الى الطبيب بتعجب لينفجر متكلماً بنبرة بحوحة وبصوت خافت يشبه فحيح الأفاعي :

- هل تقصد اني كنت مغيب ؟ هل تقصد انه لم تحدث الثورة ؟ اين الضابط ادم ؟ اين احمد وبسام ؟ مريم ؟

ضحك الطبيب وسحب كرسي كان موجود بالجوار وجلس .. خرج من جيبه ورقة وبدأ يقرأ بصوت عالي :

- اذن ابراهيم انت متزوج من مروة المتوفية قديماً ، ولديك فتاة وحيدة اسمها مريم تبلغ من العمر الان ثمانية وعشرون عام .. كما وانك دخلت تلك الغيبوبة نظراً لتأثرك بانفجار في بغداد وكان هذا من زمان بعيد.. وانت الشهر الفائت استيقظت الحمدلله .. ولكنك تعاني من بعض الهلاوس البسيطة التي سنعالجها لك .

نظر ابراهيم الى الدكتور مطولاً وكانه مشتت البال ثم عاد بسؤاله بنبرة التذكر :

- أين مريم ؟ هل كانت تزورني في تلك الفترة ؟

- نعم بستمرار وطوال فترة غيبوبتك .. ولكن هذه الشهر لم تأتي يبدو أنه حصل شيء ما أخرها .. ولكنها ستاتي بعد ساعات .. فهي تزورك في مثل هذا الوقت من كل اسبوع.

-جيد سأنتظرها .. حدثني يا دكتور ماذا فاتني ؟ على ماذا سارت الامور في تلك السنين ؟

نظر الدكتور الى النافذة وسرح قليلاً ثم اجاب بنبرة عميقة جداً وهادئة :

- لم يفتك الكثير يا سيدي مجرد اكثر من مليون قتيل واكثر من مليون جريح و الاف الارامل والاف الايتام ! اكثر من نصف الشعب عاطل عن العمل والكثير من المهاجرين واللاجئين العراقيين حول العالم والفساد مستشري بكل مفاصل العراق ونسب الفقر بازدياد ، حتى الامراض والاوبئة افتكت بنا ، حتى الاخلاق لم تعد مثل السابق .. كل شيء بات اكثر ظلاما ، يارجل كنت دائما اقف عندك وانت نائم .. واحسدك لانك نائم بدون ارادتك بينما نحن نائمون بارادتنا ومغيبون بعلمنا .. تبا ! .

أبتسم الطبيب وراح يفرك يداه ببعضها ثم ضحك قليلاً وعاد للحديث بنبرة ساخرة :

- لم يكن علي كطبيب ان اتحدث بكل هذه التشائم لرجل مثلك .. اعتذر ياصديقي ولكن الضغوط التي اعيشها صعبة قليلاً .. حدثني انت عن غيبوبتك ماذا جرئ وماذا رأيت ؟

وضع ابراهيم يداه على السرير ليتكأ عليها محاولا الجلوس ولكنه لم يستطع ، نهض الدكتور من على الكرسي وساعده حتى جلس ، جلس الدكتور جنبه تنهد ابراهيم تعبا ثم بدأ الحديث بنبرة حالمة:

- صدقني يادكتور مارأيته في غيبوبتي كان مؤساوياً قليلاً ولكنه ابيض كثيراً عن ما كنت تتحدث عنه ، فقد صنعت في افكاري ثورة كانت بطلها ابنتي مريم .. شعت لعنان السماء واصرخت مدوية

بكل الارجاء .. قد كان الناس في احلامي اكثر ايجابية قد رئيت الكثير من الاحرار في حلمي صدقني .

قاطع كلام ابراهيم طرقة الباب ودخول مريم التي كانت لاتختلف عنما رسمها ابراهيم في مخيلته كثيراً مجرد تصفيفة شعرها كانت مختلفه وبعض التفاصيل البسيطة في ملامحها ، عند فتحها للباب ودخولها صدمت بابراهيم وهو جالس بعدد ماتعودت في كل زيارة ان يكون مغيب ، صرخت لا ارادياً وراحت تذرف دموع الفرح ، اقتربت وعانقت ابراهيم الذي كان مندهش جداً هو ايضاً ، راح يلمس شعرها .. ويستنشق عطرها .. احست مريم وكأنها بحلم جميل جداً لم تشاهد مثله قط واحس ابراهيم وكأنه بواقع جميل لم يشهد مثيلاً له ، بدأ ابراهيم حديثه :- كنت كل يوم اراك بأحلامي ولكنك بالواقع اجمل جدا بنتي .وقف الطبيب وابتسم قائلا :

- استركم وحدكم قليلاً .. اسعدني رؤيتك تتكلم اخ ابراهيم .. عن اذنكم .

ثم انصرف مغلقلاً الباب خلفة .. نظرت مريم لعيون ابيها التي لطالما اشتاقت ان تراهم مفتوحتان وقالت بصوت باكي بحوح :- احبك جداً ابي لا تتركني مجدداً .. الحياة صعبة جداً بدونك .. اشتقت لك !

-لا تلوميني يا فتاتي ، لم اختار ان احبس داخل جسدي عشرون عام لكنه القدر يا فتاتي .

-لم الومك صدقني ولكنني اردت التعبير عن شوقي لك ولكن بسبب هول الموقف تتلعثم كلماتي

-اريد ان اسألك بعض الاسئلة ابنتي .. هل تسكنين مع عمتك في الغرفة العلوية ؟

دهشت مريم قليلا واجابت بنبرة متسائلة :

- نعم ولكن من اخبرك ؟

ابتسم ابراهيم وعاد لسؤالها مرة ثانية :

- هل لديك كمبيوتر قديم بطيء جدا في تشغيله ؟

توسعت عيون مريم وراحت تمسك شعرها بيديها وقالت :

- اخبرني كيف عرفت من اخبرك ؟

أجاب ابراهيم بهدوء :

- سأخبرك بكل شي ولكن عليك اجابتي الان عن اسألتي حتى استطيع فهم بعض الامور

والان لنكمل .. هل تعرفين شخص اسمه ادم ؟

اخذت مريم تفكر قليلا حتى اجابت :

- نعم انه ضابط شرطة قد تقدم لخطبتي قبل سنين ، ولكنني رفضت .

-هل تعرفين شابين اصدقاء يدعون احمد وبسام ؟

فكرت مريم قليلا ثم اجابت :

-نعم لقد كانوا يدرسون معي في الكلية انهم من ديالى .

طلب ابراهيم من مريم ان تساعده بالوقوف .. حاولت مريم مساعدة ابراهيم ولكنها لم تستطع .. تنهد ابراهيم تعباً وراح قائلاً بنبرة سخرية :

- يبدو ان الوقت باكراً قليلا على النهوض عزيزتي .. كدت ان انسى من هو روبرت ؟

ضحكت مريم من قول والدها ثم اشاحت بنظرها قليلاً وعادت الاسم متمتمة :

- روبرت روبرت .. اعتقد اني لا اعرف احداً بهذا الاسم يا ابي

ضحك ابراهيم قليلا ثم عاد قائلا :

- مستحيل يا فتاتي تذكري قليلا .. روبرت مسيحي هاجر خارج العراق؟

قاطعت مريم والدها فورا وقالت :

- نعم لقد تذكرت انه جيراننا قد هاجروا الى تركيا قبل سنين .. اجبني الان هل كنت تسمعني حين احدثك وانت مغيب ؟

نظر ابراهيم الى مريم مندهشاً وقال :

- هل كنتي تحدثينني وانا مغيب ؟

- نعم كنت كل يوم احد اقوم بزيارتك واحدثك كثيراً جداً.

- امم .. هذا يفسر الكثير من الامور .. لم اكن اسمع ما تقولين يافتاتي ولكنني كنت احلم بما تقوليين !

قاطع حديثهما طرق الباب .. فتح الباب ودخل الطبيب قائلاً :

- نحن بحاجة لاجراء بعض الفحوصات العاجلة الان سيدي .

-انا مستعد يا طبيب .

طلب الطبيب من مريم الخروج من الغرفة قليلاً .. ثم بدأ بسحب بعض العينات من الدم .. مع بعض الأجهزة الطبية التي كان يقيس بها درجة الحرارة والضغط وما الى ذلك .. طلب ابراهيم من الطبيب ان يساعده على النهوض ولكن الطبيب رفض بدواعي ان ابراهيم ليس جاهزاً بعد للوقوف .. قبل خروج الطبيب طلب ابراهيم ورقة وقلم من الطبيب .. قام الطبيب باخراجهم من جيبه ووضعهم على السرير .. خرج الطبيب وعادت مريم مباشرتا .. وجلست على الكرسي بالقرب من ابراهيم .. راح ابراهيم يسألها عن حياتها ودراستها ومعيشتها وما الى ذلك . مرت الساعات

بسرعة .. حتى اتى الليل.. شعر ابراهيم بالنعاس فنام على سريره ونامت مريم على كرسيها .. في صباح اليوم التالي عند الساعة السابعة صباحاً .. شعرت مريم بشخص ما يوقظها .. فتحت عيناها اذ به ابراهيم واقف على قدميه دهشت مريم .. بدأ ابراهيم قائلاً بسخرية:

- صباح الخير يا كسولة .. عليك تعلم النشاط من شخص نام لعشرون عام متتالية

ضحكت مريم وقامت لتعانق ابيها .. طلب ابراهيم من مريم ان تعلم الطبيب انه جائع .. ذهبت مريم للبحث عن الطبيب في ازقة المستشفى وبجميع الطوابق .. ضلت تبحث مريم ساعة كاملة ولكنها لم تجده .. عادت مريم الى غرفة والدها .. فتحت الباب لتجد ابراهيم ممدد على الارض بجوار النافذة .. هلعت مريم كثيراً .. اقتربت منه وراحت تناديه وتحاول ايقاظة ولكنها لم تستطع .. ركضت خارج الغرفة باحثة عن احد الممرضين او الاطباء .. عادت ومعه احد الاطباء لتجد طبيبين وعدد من الممرضين بالقرب من والدها .. حملوه وقاموا بوضعه على السرير .. اخرجوا مريم خارج الغرفة .. وبدأت محاولاتهم بانعاشه باستخدام الصاعق الكهربائي كانت مريم قلقه جداً بالخارج .. فهي لا تريد خسارة والدها بعد ان شعرت بقربة بالامس وبعد ان ملئ لها ذلك الفراغ التي كانت تشعر به كل تلك السنين .. بعد طيل انتظار خرج الطبيب وهو عبس الوجه .. نظر الى مريم قائلاً :

- البقية في حياتك .. كوني قوية يا ابنتي .

ثم اخفض رأسه وانصرف .. صدمت مريم وراحت الدموع تذرف من عينها الدموع ولكن بصمت جاف ، كما وانها لم تصدق ما يحصل .. دخلت الغرفة للتأكد بنفسها .. حاول الممرضون بالداخل منعها ولكن دون جدوة .. حتى امرهم احدهم بتركها والخروج .. جلست عند والدها تبكي ..حتى جذب انتباها ورقة كان بيد والدها .. يمسك بها بقوة .. اخذت الورقة وفتحتها وبدأت تقرء والدموع تنهمر من عيناها كما مكتوب :

" عزيزتي مريم .. اكتب هذه الرسالة وانا انظر اليك وانتي نائمة لقد كنت جميلة جداً وكأنك شهاب في سماء حالم .. او قمر بليل عاشق ، كأنك دمية في مخيلة طفلة او لحظة بريق بعيون اعمئ كانك وطن لغريب او بغداد لعراقي .. كل ما اود قوله لك يا فتاتي .. اني اشكرك على كل ما فعلتيه لي بفضلك لقد استطعت ان اسرق من الحياة بعض الايام .. استطعتي يا فتاتي ان تشعلي داخلي ثورة وان توقضي جميع اعضائي .. تمنيت لو تتوفقين بايقاظ ملايين المغيبين مثلي في هذا البلد .. ابداً لن انسى كلماتك التي كانت تستعر في عقلي وانت تقولين .. انا العراق لن يحكمني الفاشلون والفاسدون والسراق ! .. انتي العراق وكلنا العراق .. اذا لم نوافق ان يحكمنا الفاشلون والفاسدون والسراق .. سنبقى العراق بشموخنا .. استودعك الله يا جميلة الجميلات بعد شعوري ان المنية باتت قريبة .. احبك جداً "

خاتمة

نحن جيل نعبر عن وطنيتنا بوضع العلم صورة خلفية لهواتفنا ونعبر عن غضبنا وسخطنا بمنشور على مواقع التواصل الاجتماعي ، ديننا أصبح عبارة عن عمامة ورجل دين ، و وطننا اصبح عبارة عن شخصيات سياسية فاشلة نقدسها وندافع عنها ، لم ننتج جيل من المعارضين المدافعين عن حقوقهم جيل من الاحرار الذي يحتاجهم البلد لم ننتج جيل رافض للقيود وعابر للتوقعات مثابر وبناء متعاون ومتماسك وهذا هو الغلط الوحيد الذي اوصلنا لهذا الحال ، وقد حان الوقت للتغيير حان الوقت للتعديل الفكري المطلوب انتم العراق .. انت الذي تقرء الان انت العراق بحد ذاتك .. أنتفض لينتفض العراق .. أرتقي ليرتقي العراق .. تعاون ليتماسك العراق .. أبني ليتعمر العراق

أنت العراق أرفض أن حكمك كل فاشلاً او كل فاسد أو كل سارق !

- أتمنا أن أكون وفقت بأيصال رسالتي

المواطن غيث الصباح .

جدول المحتويات

١- المقدمة ٥

٢ - الجزء الأول (أرض تحترق) ٦

٣ - أين أبي ٧

٤ - ٧*٧ ..... ١١

٥- غريب ٢٠

٦- كيف سيعيش أدم ٢٥

٧ - من سيستمع لصوتي ٢٩

٨ - الجزء الثاني (ثورة) ٣٥

٨ - الفاتنة الشقراء ٣٦

٩- بين مصدق ومكذب ٤٣

١٠ - الحكومة ٤٧

١١ - حتى عصفوري سيذهب معي ٥٢

١٢- قضية وطن ٥٥

١٣ - صحوة ٥٨

١٤ - الخاتمة ٦٩

كتب هذا الكتاب استنادا الى المادة ‹٣٨›
من الدستور العراقي
التي تضمن حرية التعبير عن الرأي
وان كل الاحداث الواردة
في الكتاب هي خيالية وغير واقعية .